

فضل شهر رمضان المبارك

العدد: (١٦٥)، رمضان: (١٣٩٨هـ)، أغسطس: (١٩٧٨م)

إننا الآن في شهر عظيم مبارك، ألا وهو شهر رمضان، شهر الصيام والقيام وتلاوة القرآن، شهر العتق والغفران، شهر الصدقات والإحسان، شهر تفتح فيه أبواب الجنات، وتضاعف فيه الحسنات، وتقال فيه العثرات، شهر تجاب فيه الدعوات، وترفع فيه الدرجات، وتغفر فيه السيئات، شهر يجود الله فيه سبحانه على عباده بأنواع الكرامات، ويجزل فيه لأوليائه العطيات، شهر جعل الله صيامه أحد أركان الإسلام، فصامه المصطفى ﷺ وأمر الناس بصيامه، وأخبر عليه الصلاة والسلام أن من صامه إيمانًا واحتسابًا غفر الله له ما تقدم من ذنبه، ومن قامه إيمانًا واحتسابًا غفر الله له ما تقدم من ذنبه، شهر فيه ليلة خير من ألف شهر، من حرم خيرها فقد حرم، فاستقبلوه بالفرح والسرور والعزيمة الصادقة على صيامه وقيامه والمسابقة فيه إلى الخيرات والمبادرة فيه إلى التوبة النصوح من سائر الذنوب والسيئات والتناصح والتعاون على البر والتقوى، والتواصي بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والدعوة إلى كل خير لتفوزوا بالكرامة والأجر العظيم.

وفي الصيام فوائد كثيرة وحكم عظيمة، منها تطهير النفس وتهذيبها

وتزكيتها من الأخلاق السيئة كالأشر والبطر والبخل ، وتعويدها للأخلاق الكريمة كالصبر والحلم والجود والكرم ومجاهدة النفس فيما يرضي الله ويقرب لديه .

ومن فوائد الصوم أنه يعرف العبد نفسه وحاجته وضعفه وفقره لربه ، ويذكره بعظيم نعم الله عليه ، ويذكره أيضًا بحاجة إخوانه الفقراء فيوجب له ذكر شكر الله سبحانه ، والاستعانة بنعمه على طاعته ، ومواساة إخوانه الفقراء والإحسان إليهم ، وقد أشار الله سبحانه وتعالى إلى هذه الفوائد في قوله : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ١٨٣ ﴾ [البقرة: ١٨٣] ، فأوضح سبحانه أنه كتب علينا الصيام لنتقيه سبحانه ، فدل ذلك على أن الصيام وسيلة للتقوى ، والتقوى هي : طاعة الله ورسوله بفعل ما أمر وترك ما نهى عنه عن إخلاص لله عز وجل ، ومحبة ورغبة ورهبة ، وبذلك يتقي العبد عذاب الله وغضبه ، فالصيام شعبة عظيمة من شعب التقوى ، وقربى إلى المولى عز وجل ، ووسيلة قوية إلى التقوى في بقية شؤون الدين والدنيا .

وقد أشار النبي ﷺ إلى بعض فوائد الصوم في قوله ﷺ : «يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج ، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء» [البخاري٥٠٦٥ ، ومسلم١٤٠٢ واللفظ له] .

فبين النبي ﷺ أن الصوم وجاء للصائم ، ووسيلة لطهارته وعفافه ، وما ذاك إلا لأن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم ، والصوم يضيق تلك المجاري ويذكر بالله وعظمته ، فيضعف سلطان الشيطان ويقوي سلطان الإيمان وتكثر بسببه الطاعات من المؤمنين ، وتقل به المعاصي .

وفي الصوم فوائد كثيرة غير ما تقدم تظهر للمتأمل من ذوي البصيرة ، ومنها أنه يطهر البدن من الأخلاط الرديئة ويكسبه صحة وقوة ، وقد اعترف بذلك الكثير من الأطباء وعالجوا به كثيرًا من الأمراض ، وقد ورد في فضله وفرضيته آيات وأحاديث كثيرة ، قال الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ أَيَّامٗا مَّعۡدُودَٰتٖۚ ﴾ [البقرة: ١٨٣] إلى أن قال عز وجل : ﴿ شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ هُدٗى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٖ مِّنَ ٱلۡهُدَىٰ وَٱلۡفُرۡقَانِۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهۡرَ فَلۡيَصُمۡهُۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٖ فَعِدَّةٞ مِّنۡ أَيَّامٍ أُخَرَۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلۡيُسۡرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلۡعُسۡرَ وَلِتُكۡمِلُواْ ٱلۡعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمۡ وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴿١٨٥﴾ ﴾ [البقرة: ١٨٥]. وفي الصحيحين [البخاري٨ ،ومسلم٧] عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : «بني الإسلام على خمس : شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وصوم رمضان ، وحج البيت» . وقد ثبت عنه ﷺ أنه قال : «كل عمل ابن آدم له ، الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف ،

يقول الله عز وجل : إلا الصيام فإنه لي وأنا أجزي به ، إنه ترك شهوته وطعامه من أجلي ، للصائم فرحتان ، فرحة عند فطره ، وفرحة عند لقاء ربه ، وَلَخُلُوفُ فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك» [أخرجه مسلم٢٧٦٠] .

وفي الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال : «إذا دخل رمضان فتحت أبواب الجنة ، وغلقت أبواب النار ، وسلسلت الشياطين» [أخرجه مسلم٢٥٤٩] .

وأخرج [الترمذي٦٨٢ ، وابن ماجه١٦٤٢] عن النبي ﷺ أنه قال : «إذا كان أول ليلة من رمضان صفدت الشياطين ومردة الجن ، وفتحت أبواب الجنة فلم يغلق منها باب ، وغلقت أبواب النار فلم يفتح منها باب ، وينادي مناد : ياباغي الخير أقبل ، ويباغي الشر أقصر ، ولله عتقاء من النار وذلك في كل ليلة» .

وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : «من صام رمضان إيمانًا واحتسابًا غفر الله له ما تقدم من ذنبه ، ومن قام رمضان إيمانًا واحتسابًا غفر الله له ما تقدم من ذنبه ، ومن قام ليلة القدر إيمانًا واحتسابًا غفر الله له ما تقدم من ذنبه» [البخاري٣٨ ، ومسلم ١٨١٧] وثبت عنه ﷺ أنه «كان في الغالب لا يزيد في رمضان ولا في غيره على إحدى عشرة ركعة يصلي أربعًا فلا تسأل عن حسنهن وطولهن ، ثم

يصلي أربعا فلا تسأل عن حسنهن وطولهن ثم يصلي ثلاثا»[1] وثبت عنه ﷺ أنه في بعض الليالي «يصلي ثلاث عشرة ركعة»[2] وليس في قيام رمضان حد محدود لقول النبي ﷺ لما سئل عن قيام الليل قال : «مثنى مثنى فإذا خشي أحدكم الصبح صلى ركعة واحدة توتر له ما قد صلى»[رواه أحمد٤٤٩٢] .

ولم يحدد ﷺ للناس في قيام الليل ركعات محدودة ، بل أطلق لهم تلك ، فمن أحب أن يصلي إحدى عشرة ركعة ، أو ثلاث عشرة ركعة ، أو ثلاثا وعشرين ، أو أكثر من ذلك أو أقل فلا حرج عليه .

ولكن الأفضل هو ما فعله النبي ﷺ وداوم عليه في أغلب الليالي ، وهو إحدى عشرة ركعة مع الطمأنينة في القيام والقعود والركوع والسجود وترتيل التلاوة ، وعدم العجلة ، لأن روح الصلاة هو الإقبال عليها بالقلب والخشوع فيها ، وأداؤها كما شرع الله بإخلاص وصدق ورغبة ورهبة وحضور قلب . كما قال سبحانه : ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ۝١ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ۝٢﴾ [المؤمنون: ١ – ٢] ، وقال النبي ﷺ : «وجعلت قرة عيني في الصلاة»[3] ، وقال للذي أساء في صلاته : «إذا قمت إلى الصلاة فأسبغ الوضوء ثم استقبل القبلة فكبر ، ثم اقرأ ما تيسر

(١) أخرجه البخاري [٣٥٦٩].

(٢) أخرجه الترمذي [٤٤٢].

(٣) أخرجه النسائي [٣٩٣٩]

معك من القرآن ، ثم اركع حتى تطمئن راكعًا ، ثم ارفع حتى تعتدل قائمًا ، ثم اسجد حتى تطمئن ساجدًا ، ثم ارفع حتى تطمئن جالسًا ، ثم اسجد حتى تطمئن ساجدًا ، ثم افعل ذلك في صلاتك كلها» [البخاري٦٢٥٢ ، ومسلم٩١٢] .

وكثير من الناس يصلي في قيام رمضان صلاة لا يعقلها ولا يطمئن فيها بل ينقرها نقرًا وذلك لا يجوز بل هو منكر لا تصح معه الصلاة ، فالواجب الحذر من ذلك ، وفي الحديث عنه ﷺ أنه قال : «أسوأ الناس سرقة الذي يسرق صلاته» قالوا : يا رسول الله ، كيف يسرق صلاته؟ ، قال : «لا يتم ركوعها ولا سجودها» [رواه أحمد١١٥٤٩ ، والحاكم٨٣٥] .

وثبت عنه ﷺ أنه أمر الذي نقر صلاته أن يعيدها ، فعلى المسلمين اغتنام هذا الشهر العظيم وتعظيمه بأنواع العبادات والقربات ، فهو شهر عظيم جعله الله ميدانًا لعباده يتسابقون إليه فيه بالطاعات ويتنافسون فيه بأنواع الخيرات ، والإكثار فيه من الصلوات والصدقات وقراءة القرآن الكريم والإحسان إلى الفقراء والمساكين والأيتام ، وقد كان رسول الله ﷺ أجود الناس ، وكان أجود ما يكون في رمضان ، وعلى المسلمين كذلك حفظ صيامهم عما حرمه الله عليهم من الأوزار والآثام ، فقد صح عن النبي ﷺ أنه قال : «من لم يدع قول الزور والعمل به والجهل فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه» [رواه البخاري١٩٠٣] وقال عليه الصلاة والسلام : «الصيام جنة ، وإذا كان أحدكم صائما فلا يرفث ولا يجهل ،

وإن امرؤ سابه أو شتمه فليقل : إني صائم»[1] وجاء عنه ﷺ أنه قال : «ليس الصيام عن الطعام والشراب وإنما الصيام من اللغو والرفث» [رواه الحاكم ١٥٧٠ ، والبيهقي ٨٥٧١] .

وقال جابر بن عبدالله الأنصاري رضي الله عنه : «إذا صمت فليصم سمعك وبصرك ولسانك عن الكذب والمحارم ودع أذى الجار وليكن عليك وقار وسكينة ولا تجعل يوم صومك ويوم فطرك سواء»[2] . فينبغي للصائم الإكثار من الصلوات والصدقات والذكر والاستغفار ، وسائر أنواع القربات في الليل والنهار ، اغتناما للزمان ورغبة في مضاعفة الحسنات ، ومرضاة فاطر الأرض والسموات . والحذر من كل ما ينقص الصوم ، ويضعف الأجر ، ويغضب الرب عز وجل من سائر المعاصي ، كالتهاون بالصلاة والبخل بالزكاة وأكل الربا وأكل أموال اليتامى ، وأنواع الظلم وعقوق الوالدين ، وقطيعة الرحم ، والغيبة والنميمة ، والكذب ، وشهادة الزور ، والدعاوى الباطلة ، والأيمان الكاذبة ، وتبرج النساء ، وعدم تسترهن من الرجال ، والتشبه بنساء الكفرة في لبس الثياب القصيرة ، وغير ذلك مما نهى الله عنه ورسوله ﷺ .

وهذه المعاصي التي ذكرنا محرمة في كل زمان ومكان ، ولكنها في رمضان أشد تحريمًا ، وأعظم إثمًا ، لفضل الزمان وحرمته .

---

(١) أخرجه النسائي: [٢٢١٧].

(٢) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان: [٣٣٧٤].

ومن أقبح هذه المعاصي وأخطرها على المسلمين ما ابتلي به كثير من الناس من التكاسل عن الصلوات والتهاون بأدائها في الجماعة في المساجد ، ولاشك أن هذا من أقبح خصال أهل النفاق ومن أسباب الزيغ والهلاك ، قال الله تعالى : ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓا۟ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُوا۟ كُسَالَىٰ﴾ [النساء: ١٤٢] ، وقال النبي ﷺ «من سمع النداء فلم يأت فلا صلاة له إلا من عذر» [رواه ابن ماجه٧٩٣ وابن حبان٢٠٦٤ والحاكم٨٩٤] ، وقال له ﷺ رجل أعمى : يا رسول الله ، إني بعيد الدار عن المسجد وليس لي قائد يلائمني ، فهل لي من رخصة أن أصلي في بيتي؟ فقال له النبي ﷺ : «هل تسمع النداء للصلاة؟» قال : نعم ، قال : «فأجب» ، وقال عبدالله بن مسعود رضي الله عنه وهو من كبار أصحاب رسول الله ﷺ : «لقد رأيتنا وما يتخلف عن الصلاة في الجماعة إلا منافق معلوم النفاق أو مريض»(١) .

وقال رضي الله عنه : «لو أنكم صليتم في بيوتكم كما يصلي هذا المتخلف في بيته لتركتم سنة نبيكم ولو تركتم سنة نبيكم لضللتم» (٢)

ومن أخطر المعاصي اليوم أيضا ما بلي به الكثير من الناس من استماع الأغاني وآلات الطرب وإعلان ذلك في الأسواق وغيرها . ولاريب أن هذا من أعظم الأسباب في مرض القلوب وصدها عن ذكر الله وعن

(١) أخرجه ابن ماجة: [٧٩٢].
(٢) أخرجه مسلم: [١٥٢٠].

الصلاة وعن استماع القرآن الكريم والانتفاع به ، ومن أعظم الأسباب أيضا في عقوبة صاحبه بمرض النفاق والضلال عن الهدى كما قال تعالى : ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡتَرِي لَهۡوَ ٱلۡحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٞ مُّهِينٞ ٦ ﴾ [لقمان: ٦] .

ولقد فسر أهل العلم لهو الحديث بأنه الغناء وآلات اللهو وكل كلام يصد عن الحق . وقال النبي ﷺ«ليكونن في أمتي أقوام يستحلون الحِرَّ والحرير والخمر والمعازف» [رواه البخاري ٥٥٩٠ ، وأبوداود ٤٠٤١] . والحر هو الفرج الحرام والحرير معروف والخمر هو كل مسكر والمعازف هي الغناء وآلات الملاهي كالعود والكمان وسائر آلات الطرب ، والمعنى أنه يكون في آخر الزمان قوم يستحلون الزنا ولباس الحرير وشرب المسكرات واستعمال الغناء وآلات الملاهي ، وقد وقع ذلك كما أخبر به النبي ﷺ وهذا من علامات نبوته ودلائل رسالته عليه الصلاة والسلام .

وقال عبدالله بن مسعود رضي الله عنه : «إن الغناء ينبت النفاق في القلب كما ينبت الماء الزرع» [١] فاتقوا الله أيها المسلمون واحذروا ما نهاكم الله عنه ورسوله ، واستقيموا على طاعته في رمضان وغيره ، وتواصوا بذلك وتعاونوا عليه لتفوزوا بالكرامة والسعادة والعزة والنجاة في الدنيا والآخرة . . والله المسؤول أن يعصمنا والمسلمين من أسباب غضبه وأن

(١) أخرجه البيهقي: [٢١٥٣٦].

يتقبل منا جميعا صيامنا وقيامنا ، وأن يصلح ولاة أمر المسلمين وأن ينصر بهم دينه ويخذل بهم أعداءه ، وأن يوفق الجميع للفقه في الدين والثبات عليه والحكم به والتحاكم إليه في كل شيء إنه على كل شيء قدير ، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله محمد وآله وصحبه .

* * *